بين الأمنية والتخطيط
الطريق نحو تحقيق الهدف (1-4)

«الأمل هو الرفيق المشجع للإنسان السائر في درب الوعي... جمال الروح وغذاؤها يكمنان في الأمل، انه البصيص الذي يرشد إلى الهدف، انه شوق القلب إلى الأبدية وحنين النفس إلى مصدرها. أملنا هو ذلك القوي الذي يتحدّى مصاعب الزمن، ويتخطّى عقبات الحياة كأنها لم تكن، ويشدّنا صعداً إلى الهدف».

مقتطفات ملهمة اخترتها من «كتاب الإنسان» (باكورة سلسلة علوم الإيزوتيريك – ص 129 الطبعة السابعة) إعداد وتنسيق د. جوزيف مجدلاني (ح ب م)، لأنني وجدت في عباراتها التي تمتدّ بين كلمة أمل وكلمة هدف ما يحثّ التساؤل عن الطريق الذي يربط الأمل بالهدف... الطريق الذي يبدأ بأمل وأمنية وينتهي بتحقيق النجاح والارتقاء. ذلك الطريق أين يبدأ وكيف يمتدّ ليوصلنا إلى المرام؟

في هنيهات التأمل أو خلال الأحلام، في أثناء الاسترخاء أو عبر لحظات التمعن والتفكير، تنعتق في فضاء الخيال أمنيات عديدة، بعضها واقعي يدخل في نطاق العاديات، والبعض الآخر بعيد المنال.

لدى الأفراد غير المتعمقين في الأمور، قد يبقى الخيال ضمن حدود التمنّي، ما يجعل الأمنيات تخبو مع مرور الأيام، وكأنها لم تكن سوى شطحات خيال مؤقتة مصيرها التلاشي. وفي حال تحقق منها شيء بشكل جزئي أو تام، يَعتبرُ الشخص غير المطلع على بواطن الأمور أنه حالة استثنائية ترتبط بالحظ الحسن.

في الحقيقة، ليست الأمنيات مُتعة خيالٍ وحسب، ولا هي تنهدات فكر يناجي الحظ. هي أساس سلسلةِ عمليات تفاعل، تطلقها شرارة الرغبة التي تنطوي في الأمنية، ثم لا تلبث أن ترتفع بها الإرادة إلى مراقي التخطيط والتحقق.

يفسّر الإيزوتيريك الأمنية على أنها حاجة أو ذبذبة فكرية تتوق لتعبئة نقصان ما في نفس صاحبها. وإذا ما وسَّعَ شبكة حركتها، ينسُجُ منها حُلماً في أبعاد... أضفْ إلى الحُلم هدفاً، يصبحُ الحلمُ طموحاً. ضعْ له توقيتاً وزمناً محدداً يصبح الطموحُ مخططاً. أخضِعْه للمثابرة التي تهدف للمصلحة العامة، يتحول المخطط إلى مهمة إنسانية. وإن تضافرت تلك التحوّلات في إطار العطاء الإنساني وتسامت فوق كل مصلحة شخصية، تعانق المهمة الإنسانية العطاء الواعي وتحاكي التفاني في العمل، ما يعني أن جميع هذه التحولات تصبُّ في رسالة سامية، يؤديها المرء عبر مسار تطوره على درب الوعي.

أساسُ الطموح أمنية ما، وأساسُ الأمنيةِ نقصانٌ ما، أو غاية في النفس. لذلك، لا عجب أن الأمنيات تنعتقُ من الفكر في أوقات التقييم الذاتي أيضاً (أو جردة الأعمال اليوميّة أو الأسبوعيّة)، حين ينساب الوعي إلى أعماق الكيان ليكتشف النواقص، ما يولّد رغبة لتعبئة هذه النواقص، ثم ينجم عن الرغبة أمنية.

هنا لا بد أن نتساءل: هل التمنّي يضعفُ الإرادة؟

المهندس زياد دكاش
www.esoteric-lebanon.org

بين الأمنية والتخطيط
الطريق نحو تحقيق الهدف (2-4)

ما من شك أن المرء الذي يستسيغُ حالاتَ التمنّي والخيال غير المجدي، يُضعف زخمَ إرادته ومثابرته في التطبيق العملي. لكن من الناحية الأخرى، من يغضُّ الطرْفَ عن أمنياتِه، أو يكبتُ تلك الرغباتِ المشاعرية والفكرية التي تطوف على سطح وعيه، كي يسعى وراء غايات لا صلة لها بميوله وتطلعاته، هو في الحقيقة يخنقُ رغبة خياله! وما قد يحققه في النهاية لن يكون من صميم ذاته وبنات أفكاره.

إن الأمنيات مراتب، أدناها هي تلك التي تقتصر على الميول الدنيوية والملذات الفردية، حيث يكفي أن يطلق المرء العنان للخيال لبعض الوقت، فيشعر بالارتياح، بعد أن تطفو المشاعر والأفكار التي لم يتمكن من تفعيلها أو تحقيقها في الحياة اليومية... فتغيب عن ذهنه. وهناك الأمنيات التي تهدف إلى التطوّر الذاتي، والتي يمكن للمرء أن يدخلها إلى حيز المخيلة البناءة ويخطط لتنفيذها، ومن ثَمَّ يتابع ويثابر على تحقيقها. وهناك الأمنيات ذات المستوى الإنساني، مثل الرّجاء المتجرد من الغايات الفردية والهادف إلى الخير والمصلحة العامة.

غالباً ما نلاحظ أن الأمنية، في مراتبها المختلفة، تعبّر عمّا يتمنّى المرء تحقيقه، لكنها لا تحدّد خطوات ذلك التحقيق، ولا تدرس إمكانية الانجاز ولا كيفية التنفيذ. إن التمنّي يضفي الرغبة إلى الهدف، والهدف يضيف معنىً إلى التمنّي... لكن يبقى للتخطيط أن يرسم طريقاً نحو ذلك الهدف، مجيباً عن: كيف؟ ومتى؟ وأين؟.

بذلك يُحدّدُ التخطيط اتجاه التنفيذ نظرياً، يختار الأسلوب المناسب والمستلزمات التي يحتاجُ إليها... يحدد الأولويات ومدة التنفيذ ومكانه، لا بل توقيت كل جزء منه، مع دراسة ارتباط كل جزء بالآخر، في تنسيق وتكامل وفي ضوء رؤية موحدة شاملة..

ومن منطلق علوم باطن الإنسان – الإيزوتيريك، نجد أن التخطيط ليس عملية فكرية محدودة في ذهن المخطّط أو على الورق... بل هو عملية بحث وبث، بحث في ما يفيد المرء في تخطيطه، وبث لذبذبات المخطط (الفكرية) التي تُحدث تحوّلاتٍ في المحيط من حولها، أو في الأحداث وفي تصرفات الآخرين، عندما تكون ذبذبات الفكر هادفة للخير العام وعلى درجة وعي مرتفعة... من هنا تبرز أهمية أن يتفاعل الإنسان داخلياً مع المخطط الذي يرسمه، ليتمكن من إحداث التفاعل الذبذبي الخارجي..

المهندس زياد دكاش
www.esoteric-lebanon.org

بين الأمنية والتخطيط
الطريق نحو تحقيق الهدف (3-4)

من أجل تحقيق تفاعل داخلي أفضل، يتوجّب على المخطّط الأساس أن يكونَ من تصميمه الخاص ومن صميم إرادته ودرجة وعيه، كي لا يكون العملُ تقليداً، إلا في حالات الاقتداء بالآخرين أو التمثل بهم كحالة ظرفية ملائمة... ويجب أن يكون المخطط وليدَ الذات وامتداداً لها، وليسَ نتيجةً لتفاعلات النفس أو آراء الآخرين..

وكما يصمم المهندس الأبنية ويصوّرها ورقاً على المخططات بشكل مفصل وكامل قبل التنفيذ، كذلك على المرء أن يصوِّر ويدرسَ خطوات مخططاته بالتماهي أو التماثل (simulation)، حتى يَظهر النتاج الأخير مكتملاً في المخيلة، من دون أن ينطلَق إلى التطبيق قبل انتهاء التخطيط. لأنه على الصعيد الباطني، يحافظ هذا الاكتمال في التصميم على زخم ذبذبات الأفكار، فيما النواقص تضعف الانطلاقة والتفاعل... وهنا ينطبق القول المأثور: «من استعجل الأمر قبل أوانه، عوقب بحرمانه».

لكن من جهة أخرى، عندما يستسيغ المرء التخطيط لمدة طويلة، ولا يباشر التنفيذ في الوقت المناسب، تضعف طاقة التخطيط ومقدرة التنفيذ معاً... ولا عجب إن رأى أن شخصاً آخر استلهم مخططاً مشابهاً وبدأ تنفيذه بنجاح..

أساس التخطيط هو الواقعية، وصرحُه الطموح. التخطيط يجب أن يكون غير محدودِ الاحتمالات، وفي الوقت عينه يجب أن يلتزم بهدفه المحدد، وإلا خسِر المرء من زخمه وضاع مجهوده في اتجاهات عديدة. يجب أن يكون التصميمُ شاملاً بعيدَ الرؤيا، متطابقاً مع الهدف الأساسي الذي ينتمي إليه.

إثراكتمال التخطيط، من دون تسرّع، ولكن من دون مماطلة أيضاً، تبدأ عملية التنفيذ (التطبيق)، وتتبلور صورة جوهر ذلك التصميم شيئاً فشيئاً (مثلما يكتمل إنشاء أقسام البناء، قسماً تلو الآخر). وتبقى تلك الصورة مرتبطة بمصدرها، أي بالمخطط والهدف المرجو منه. فإن انفصل العمل عن الهدف الأساسي، فقد معناه وفشِلَ أو تلاشى تدريجاً من الوجود. (باعتبار أن لا جدوى للانعكاس – الصورة من دون المصدر – الأصل). لذلك تشكل سلبيات النفس (المكابرة، الجشع، الكسل، التأجيل، إلخ) الخطر الأكبر في عمليتيَّ التصميم والتنفيذ، باعتبار أنها تنسج تفرّعات وهمية منوطة بمزاج النفس، ما يُبعد العمل عن هدفه، والمجهود عن الإبداع!

التخطيط في أسمى درجاته يرتقي إلى حال التصوّر، والتصور يختلف عن الخيال ويعمل في المخيلة، إذ إن قوة التصوّر تؤدي إلى تظهير الصور العقلية، وتجسيد المخطط (التصميم) وتحقيقه فعلياً. هذه العملية (الخيميائية) تشمل، من ضمن ما تشمل، إدراك دور عناصر الطبيعة والظروف الخارجية من حولنا، سواء كانت التفاعلات والتحولات تلقائية (لا واعية) أو إرادية (واعية) حسب درجة الوعي. لذلك يتوجب على المخطّط (التصميم) أن يتماشى مع قانون الحياة وقانون الطبيعة، وأن يحوي أفكاراً خلاقة ومبدعة.

المهندس زياد دكاش
www.esoteric-lebanon.org

بين الأمنية والتخطيط
الطريق نحو تحقيق الهدف (4-4)

بين التخطيط النظري والتطبيق العملي هاوية مظلمة، اجتيازها مشحون بالانتباه والمعاناة. أن نخطط لشيء ما أمر جميل وممتع، أما أن ننقل ذلك المخطط من حيز المخيلة إلى الواقع التطبيقي فهو مجهود يعوزه التنبّه والعمل المركّز، واجتنابها يحوُل دون التمكن من التطبيق العملي، وإذا تمعنا فيهما، نعشق وقع أمواجهما الصاخبة على شاطئ كياننا الراكد، فتعترينا متعة تستنهض كوامن النفس، وتذوِّب سلبية الجمود فينا، فنرى أنفسنا نمدّ جسرَ وعي متين بين التخطيط والتنفيذ.

إن المخطط الأمثل، هو ذلك الذي ترسمه الذات الإنسانية وتنفّذه النفس البشرية. فالمرء يستلهم الأهداف الراقية من الذات في حالات الوعي المميزة أو خلال التأمل أو الأحلام الكاشفة... ويرسم مخططاته في هنيهات الحماس هذه، مع الاستعداد لتنفيذ ما بدا مستحيلاً في السابق... بيدَ أنّه في صباح اليوم التالي، عندما يصحو من حلم الذات اللامحدود، يدرك محدودية النفس البشريّة... فتبدأ معاناة التطبيق... تطبيق ما تراءى للنفس البشريّة في الليلة السابقة من خطط وأعمال في أرض الواقع... إن إقناع المشاعر وترويضها لتطبيق هذه المخططات من خلال المنطق الرزين هو فن تربوي وليس عملية كبت! فالمشاعر كالطفل، تحتاج لتوجيه، وإقناع حتى ولو اضطرّ الأمر إلى القسوة...

مهمتنا اليوم أن نجعل التخطيط والتنفيذ متزامنين ومتقاربين إلى بعضهما، أي دونما تمهل في التنفيذ ناتج عن كسل! بذلك تتقلص الفراغات اللاواعية، والمسافات بين النفس المنفـّذة والذات المخطِّطة.

إن كنا نطمح في أن نكون قلباً ينبض بالعطاء في المجتمع، فالقلب ما توقف يوماً أو تمهّل للاستراحة كون نبضه المستمر ضرورياً لإنعاش أعضاء الجسد بالحياة. وإن أردنا أن نكون شمساً تخترق حجب ظلام اللاوعي والجهل من حولنا، فالشمس لم تتأخر يوماً عن توقيت الإشراق!

المهندس زياد دكاش
www.esoteric-lebanon.org